الفصل الأول: مفهوم الصناعة والقطاع الصناعي

المبحث الأول: تطور الصناعة والرأسمالية الصناعية

المطلب الأول:مدخل تأريخي لتطور الصناعة

يرتبط مفهوم الاقتصاد الصناعي Industrial economy بنشوء وتطور الصناعة إذ كما هو معروف يرجع نشوء وتطور الصناعة إلى فترات تاريخية طويلة، أي منذ بداية تكوين المجتمعات البشرية، ثم تطورت بصورة تدريجية لتصل في العصر الحديث إلى ماهي عليه الآن، فالصناعات الحرفية أخذت تستقل كفروع إنتاجية متخصصة ومتميزة عن الزراعة في المراحل الأولى للتقسيم الاجتماعي للعمل والعلاقات التبادلية.

ان استمرار وتطور هذه العملية أدى إلى نضوج وتكامل مفهوم كل من الزراعة والصناعة كقطاعات اقتصادية مستقلة و متميزة بعضها عن البعض الآخر، غير ان تطور الصناعة ظل محدودا من الناحيتين التقنية والاقتصادية حتى المراحل المتقدمة من المجتمع الإقطاعي، إذ ان الإنتاج الصناعي في تلك الفترة كان محدودا كما ونوعا ويتم ضمن قاعدة إنتاجية ثابتة نسبيا متمثلة بالإنتاج الحرفي البسيط وعلى أساس إشباع رغبات المستهلكين المعلومين مسبقا، فالصناع والحرفيين في تلك المرحلة يتم إنتاجهم على أساس المواصفات والكميات المطلوبة من قبل المشترين من خلال الاتفاق بين طرفي العملية، كما يتم تحديد السعر ووقت التسليم. وتميزت الصناعة كذلك بقلة فروعها وتباعدها الأمر الذي لم يجعل منها قطاعا متميزا ومتكاملا ومؤثرا في الحياة الاقتصادية كما هي عليه في يومنا هذا.

لقد كان تطور الصناعة على القطاع العالمي مرتبط من الناحية التاريخية بنشوء وتطور العلاقات الرأسمالية، وقد مر هذا التطور بمراحل عديدة يمكن توضيحها بخمسة مراحل هي أ:

1-مرحلة الصناعة المنزلية:

عرفت الصناعة في بداياتها الأولى كشكل من أشكال النشاط المنزلي، الذي كانت تمارسه العائلة داخل المنزل من قبيل الغزل وحياكة الملابس وصناعة أدوات الطبخ وبعض الأوانى والأدوات

البسيطة التي لاتحتاج إلى مهارة كبيرة وغيرها لغرض تلبية احتياجات الأسرة الأساسية، دون ان يخصص منه شيئاً للتجارة أو الحصول على ربح ما. ويعود السبب في ذلك لمحدودية الإنتاج الذي لايكاد يكفي لمتطلبات الأسرة. إلا أن هذا النوع من الإنتاج استمر ومن ثم تطور حتى تحول إلى مورد أساسي لتلك العوائل وذلك لكونه انتقل إلى مرحلة جديدة تتمثل بمرحلة الإنتاج الحرفي.

2-مرحلة الصناعة الحرفية:

في هذه المرحلة حصل تطور للنشاط الصناعي بصورة تدريجية من خلال السياق التاريخي لتطور العمل إذ تحول العديد من المنتجين المنزليين الى صناعيين متخصصين بنشاط محدد كالحدادة والنجارة والخياطة، اذ كان إنتاجهم او جزء منه مخصص لغرض البيع في السوق وليس للاستهلاك المنزلي فقط المتمثل بإشباع رغبات العائلة. وبشكل مبسط يتمحور عمل الحرفيين حول إنتاج سلع صناعية معينة بتوصية من قبل المستهلك اذ يتم الاتفاق على مواصفات السلعة وتكلفتها ووقت تسليمها، بعدها تطور هذا الأمر ليصل إلى صنع المنتجات وعرضها للبيع في السوق دون الحاجة إلى توصية مسبقة.

لقد بقيت الحرفة حتى العهد الإقطاعي في القرون الوسطى هي النمط الإنتاجي السائد لتصل أعلى مستوياتها في فترة البناء الورشي في البلدان الأوربية، لذا فهي تعد مرحلة مهمة في تطور الصناعة نتيجة التحسن الذي حصل في وسائل الإنتاج لتمهد الى المرحلة اللاحقة المتمثلة بمرحلة التعاون البسيط.

وفي الوقت الحالي فان هذه الحرف لاتزال قائمة الى يومنا هذا في الكثير من بلدان العالم ولاسيما فيما يتعلق في صناعات الغزل والحياكة وصناعة الأدوات النحاسية والفخارية كونها تعطي صبغة فلكلورية وفنية لثقافة البلد كما هو الحال في العراق ومصر والمغرب وإيران والهند وتركيا وباكستان وغيرها، إذ ان الكثير من البلدان السياحية تدعم هذه الصناعات وتروج لها لغرض الاستفادة من طلب السائحين عليها.

3- مرحلة التعاون البسيط:

ان هذه المرحلة كما تسمى أيضا بمرحلة المشغل الصغير (التي هي عبارة عن جمع مجموعة من الحرفيين في مؤسسة واحده) تهتم بأدنى شكل من أشكال تنظيم الإنتاج الصناعي الرأسمالي وتتميز ببعض المميزات عن الإنتاج الحرفي منها إمكانية التوفير في وسائل الإنتاج والنمو في الإنتاجية وكذلك تقليل النفقات التي تتطلبها الأدوات والمخازن ونقل المواد الأولية والمنتجات النهائية. فتكلفة بناء معمل أو ورشة تتسع لثلاثون عاملا على سبيل المثال وتجهيزها بالخدمات الأساسية كالطاقة ووسائل التدفئة والتبريد هو اقل بكثير من بناء عدة ورش لهؤلاء العاملون وتجهيزها بالخدمات ذاتها. ومن الناحية الاقتصادية تتميز هذه المرحلة بوجود أعداد كبيرة نسبيا من العمال ولابد ان يؤدي ذلك إلى زيادة حجم رأس المال المستثمر وكلما ازداد حجم العمل كلما ازدادت وسائل الإنتاج المستخدمة (رأس المال الثابت) وكذلك رفع إنتاجية العمل وتخفيض نفقات الإنتاج المتوسطة ATC.

4-المشاغل أو المشغل (المانفكتوره):

تسمى أيضا بمرحلة المشغل الرأسمالي وسادت هذه الطريقة الإنتاجية في أوربا الغربية في أواسط القرن السادس عشر وحتى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر. والمشغل هو التعاون القائم على أساس تقسيم العمل وعلى التكنيك الحرفي، إذ يعد بمثابة اخضاع الحرفة لرأس مال التاجر (المركنتلي) او كما يسمى أيضا بالمرابي بما فيها (المعلم والصانع) ، فالمشغل Manufacture عبارة عن منشاة صناعية صغيرة يجتمع فيها عدد من الحرفيين لإنتاج نوع او أكثر من المنتجات الصناعية من خلال العمل اليدوي (كما يرى الكثير) او العمل الآلي ذو الفن البسيط. وقد حدث الانتقال إلى المشغل بطريقتين هما:

أ- جمع حرفيين ذوي اختصاصات واحدة في ورشة واحدة. فهنا يمكن جمع جميع مراحل صناعة منتج معين في ورشة واحدة بدلا من إنتاج كل قسم من هذا المنتج في ورشة مستقلة.

ب- جمع حرفيين ذوي اختصاصات مختلفة في ورشة واحدة. وهنا يتم التخصص من خلال تقسيم العمل فبدلا من ان يقوم حرفي معين بجميع العمليات الضرورية لإنتاج السلعة بنفسه، يمكن للمشغل من تقسيم سلسلة العمليات ويعهد لكل قسم منها حرفي مختص.

ان النتائج المترتبة على الانتقال لمرحلة المشغل هي:

أ-أدى ذلك إلى زيادة الإنتاجية بسبب إحلال الآلة محل العمل اليدوي.

ب-تكوين المهارة وتعميق عملية التخصص بشكل كبير.

ج-اوجد المشغل للمرحلة اللاحقة (الصناعة الآلية الكبيرة) ملاكات ماهرة من العمال.

ان الاستكشافات العلمية واستخدام الآلات في الصناعة على نطاق واسع (الثورة الصناعية) كانت قد بدأت في انكلترا، فأصبح البلد الرأسمالي الأول للأسباب التالية:

أ-تعد انكلترا أقدم بلد أوربي تخلص من السيطرة الإقطاعية.

ب-طرد المزارعين من أراضيهم الإجراء الذي وفر للصناعة أيدي عاملة كافية وبأجور منخفضة نسبيا.

ج-تطور وتوسع التجارة الانكليزية وتراكم رؤوس الأموال اللازمة لشراء المكائن والآلات وانتشار المشاريع الكبيرة.

5-الصناعة الآلية (إنتاج الآلة أو الآلي الكبير)

لقد أدى ظهور وانتشار المشاغل إلى إيجاد المقدمات الأساسية لقيام الصناعة الآلية حيث إن زيادة الإنتاج والذي تزامن معه زيادة في الطلب على المواد الأولية قد أدى إلى توسع السوق الذي يعني تزايد في الطلب، وهذه جميعا تؤدي إلى بناء مؤسسات إنتاجية وتوسيع المؤسسات القائمة وبهذا أصبح الانتقال إلى الصناعة الآلية ضرورة اقتصادية.

وقد لعبت عوامل أخرى ارتبطت بتوسع السوق هي:

أ-الاستكشافات الجغرافية من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر.

ب-اتساع نطاق المخترعات وتحسن وسائل الإنتاج وتطور العلوم بوتائر متصاعدة.

ج-التراكم الواسع لرأس المال.

د-اتساع نطاق التجارة وطرق المواصلات بعد انهيار النظام الإقطاعي في معظم الدول الأوربية.

إن هذه التطورات عملت على تحطيم الأطر القديمة للصناعات اليدوية وتهيئة المقدمات الضرورية واللازمة لنشوء الصناعات القائمة على التقنية العالية أبان الثورة الصناعية الكبرى في أوربا

في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ومن ثم تطورها السريع في المراحل اللاحقة، فأصبحت هذه الصناعات هي السمة الرئيسة للصناعة الحديثة.

في الوقت الحاضر تلعب الصناعة دورا كبيرا في الاقتصاد الوطني وذلك بسبب القدرة اللامحدودة للقطاع الصناعي في إشباع الحاجات الأساسية وإحداث التراكم الرأسمالي وأهميته في توفير وسائل الإنتاج اللازمة للقطاعات الأخرى والقطاع نفسه.

أضف إلى ذلك التشعب والتشابك الذي يمتاز به هذا القطاع والقدرة على التخصص في إنتاج السلع فضلا عن المرونة التي يتسم بها في الظروف الاستثنائية كالحروب والكوارث ناهيك عن الاحتياجات الإنسانية المختلفة، إضافة إلى إمكانية القطاع الصناعي في استيعاب حجم منجزات العلم والتكنولوجيا.

أ مدحت القريشي ، الاقتصاد الصناعي ، الطبعة الثانية ، دار وائل للنشر ، الأردن ، 2005 ، ص ص18-20.